



## أسئلة الأطفال المخرجة.. كيف نتعامل معها؟

يرونها أو يتعاملون معها، خصوصاً في مرحلة ما قبل سن المدرسة. وبحسب ما تؤكد الدراسات التربوية والنفسية، فإن أكثر الأسباب التي تدفع الطفل للسؤال، أنه يولد على الفطرة، فما إن يبدأ بالكلام، حتى تبدأ معه الأسئلة، بهدف إشباع حب الاستطلاع والاستكشاف والمعرفة التي فطر عليها كما سبق، وأيضاً الحاجة إلى معرفة كل شيء عما يدور حوله، وفهم ما يحيط به من ظواهر وأشياء. كما أن أسئلته قد تكون ذات صلة بحاجته إلى الشعور بالاستقلالية وتأكيد الذات.

الأسرة، التي تشكل الحاضنة الأولى في تطور الطفل ونموه الجسمي والعقلي والاجتماعي، واكتسابه الاستقلالية والثقة بالذات. ووفقاً لطبيعة الأطفال تلك، فإنهم يكثرون من الأسئلة التي يطرحونها على الآباء والأمهات بشكل خاص، فلا يتركون كبيرة أو صغيرة إلا ويسألون عنها، فتراهم يسألون عن الكون، والحياة، وطبيعة الأشياء، حتى أنهم يعتمدون عليهما اعتماداً تاماً في الحصول على الحقائق والمعارف والمعلومات، والتعرف على ماهية الأشياء وحقائق الأمور التي

من أبرز خصائص الأطفال: الفضول الاستكشافي اللا محدود، والرغبة الجامحة في معرفة البيئة المحيطة، والمرونة في التفكير، والمقدرة على التخيل والإبداع أكثر من سواهم. ومن خصائصهم أيضاً: أنهم يولدون بقدرات ذهنية ونفسية خاصة: تلعب ظروف البيئة الاجتماعية المحيطة دوراً رئيسياً في إنمائها، وبالوقت نفسه يمكن أن تكون عاملاً مساعداً لوأدها ما لم تتم تميمتها وتوجيهها ورعايتها بالشكل المطلوب. ونعني - هنا - بالبيئة الاجتماعية المحيطة أكثر ما نعنيه؛

وفي أحيان أخرى فإنه يسأل لتأكيد معلومات معينة لديه، أو الاستزادة في المعرفة حولها. أو أنه يجد فيها فرصة للتواصل من والديه، بهدف المشاركة والمحاورة والإحساس بالأمان.

والأسئلة التي يطرحها الطفل تكون متنوعة، لدرجة قد تتجاوز تصورات الكبار، ومنها: أسئلة دينية، كأن يسأل: ما هو الموت؟ إلى أين يؤخذ الميت؟ لماذا خلق الله تعالى الأشرار؟ أين توجد الجنة، وأين توجد جهنم؟ وأسئلة علمية، مثل: ماهو الضوء؟ ماهي نهاية الكون؟ أسئلة علمية: كيف ولدت؟ من أين يأتي الطفل إلى العالم؟ لماذا لدي عضو (تناسلي) يختلف عما لدى البنت؟ وأسئلة اجتماعية وغيرها، تبدأ ب: ما هذا، وكيف، ومتى، ومن، ولماذا.

إن الطفل كما يقول الباحث التربوي عيسى الشماس: (عندما يطلق سؤاله البسيط، رغبة في المعرفة أو اكتشاف أمر ما، فإن الطفل يكون قد تعرض لموقف جديد، أو لخبرة يجهل التعامل معها؛ فيعيش في حالة من عدم الاستقرار النفسي، تدفعه إلى البحث عما يلي حاجته.. ولكن ما إن يصل إلى الجواب الصحيح والمقنع، حتى يشعر بالراحة، فيعود إلى توازنه النفسي، ويكتسب نتيجة ذلك مجموعة من المعارف والقيم الوجدانية والإنسانية، التي تقع في الإطار الثقافي للمجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش).

إن طبيعة التساؤل، وحب الاستطلاع لمعرفة الأشياء المحيطة لدى الأطفال، مؤشر طبيعي على نموهم العقلي السليم، وقد أشارت الدراسات التربوية إلى أهمية هذه التساؤلات، وأن لدى الغالبية منهم أفكارا وتساؤلات كثيرة، تكون على

أشدّها في سنواتهم الأولى، أي في مرحلة ما قبل سن المدرسة. والأطفال يختلفون في ذلك إلى حد ما، فبعضهم يبدأون بالأسئلة مبكرا، وبعضهم يتأخر قليلا، وبعضهم قد يسأل ثم يتوقف، أو يستمر في طرح الأسئلة الفضولية، ويكثر منها في هذه المرحلة، حتى أن البعض يصفها بمرحلة السؤال. وكثيرا ما يبدأون بالأسئلة عن الأمور التي تخفى عنهم، والتي قد تكون محرّجة للكبار، لذا فإن أول من يتوجهون إليهم هم الآباء والأمهات، وبدرجة أقل الإخوة والمعلمين والمشرّفين. باختصار فإن تفكير الطفل بالعالم من حوله، ومحاولة معرفته واستكشافه، يظهر من خلال الأسئلة، التي تشعره في حال التعامل السليم معها، بالاهتمام والتقدير والتوازن الانفعالي، وتكسيه الأساليب المنطقية في التفكير، ومواجهة المستقبل بثقة وجدارة.

وإزاء ما يطرحه الأطفال من التساؤلات والاستفسارات المحرّجة، قد يتذمر بعض الكبار ويضيقون بها، فيهمّلونها ويتجاهلونها أحيانا، أو يبررون عدم الإجابة عنها، بحجة أنها معيبة، أو تتصل بالمحرّمات الاجتماعية والأخلاقية، أو يتهربون منها، بسبب جهلهم بما يريد الأطفال معرفته، كما يحدث أن تواجه بالصد أو العنف، وأحيانا أخرى قد يجيبوا عنها إجابات متسرّعة وعشوائية، وبعيدة عن الصواب، مما يكون سببا في إشعار الطفل بعدم الثقة بمن يسألهم، إذا ما اكتشف أنهم يعطونه معلومات خاطئة، ومن جهة أخرى فهناك من الآباء من يتعامل مع أسئلة الأطفال الحرّجة بأسلوب الإجابة عنها؛ إجابات صادقة مبسطة، وبما

يتلاءم مع مستوياتهم العقلية والنفسية، وهذا هو الاتجاه التربوي الصحيح. إذا، يمكن القول أن الأساليب والأنماط التي يعتمدها الوالدين في التعامل مع أسئلة أطفالهم المحرّجة، هي: (أسلوب الإهمال، أسلوب الهروب أو الاجابات العشوائية، أسلوب التعنيف، الأسلوب العلمي التربوي).

إن التخوف من الأسئلة المحرّجة، أو الإرتجال في الإجابة عنها، أو ممارسة التعنيف إزاءها، تشكل مشكلة تربوية كبيرة بالنسبة إلى الكبار، عندما يتجاهلون حقوق أطفالهم في الحصول على الحقائق والمعلومات، والإجابة عن أسئلتهم، بوصفها نواهد يتعرفون من خلالها على المحيط الذي يعيشون فيه، وأسرار هذا العالم الواسع. ويتناضون عن معالجة الدوافع الخاصة بهم عندما يسألون، وتشير الدراسات التربوية بدقة إلى أن أسئلة الأطفال تتضاءل كما وكيفما، ويفقدون اهتمامهم بها كلما تقدموا في السن، وأنهم يركزون اهتماماتهم حول الإجابات التي يتحصلون عليها، وفي حال عدم الحصول على إجابات شافية، فإنهم سيسعون إلى الحصول عليها من أماكن أخرى، قد لا تكون موثوقة، أو قد تكبت رغبة التساؤل لديهم.

وهنا يظهر دور البيئة الأسرية التي تؤثر بدرجة ملحوظة في قدرات الأطفال العقلية والمعرفية، عندما توفر لهم فرص اكتساب الخبرات والمشاركة بالحديث والنقاش، إذ أن أسلوب ونمط الإجابة عن أسئلتهم كما تؤكد الدراسات العلمية المتخصصة، يترك أثرا عميقا في المراحل اللاحقة من حياتهم، وأن الأطفال الذين يحظون بالتشجيع عندما يشرون أسئلتهم يكونون أكثر ثقة بأنفسهم



عندما يواجهون تحديات جديدة، بعكس الذين يتعرضون للإهمال أو سوء المعاملة نتيجة السؤال، حيث يكونون عرضة للاضطرابات الانفعالية والاجتماعية أكثر من غيرهم.

### الأساليب التربوية السليمة للإجابة عن أسئلة الأطفال؟

إن أهم المبادئ التربوية السليمة حيال أسئلة الطفل المحرجة خصوصا، ومتطلبات مواجهتها بالنسبة للوالدين والمربين، تتمثل فيما يأتي:

- إيلاء الاهتمام بأسئلة الأطفال، وعدم التقليل من أهميتها، بصفتها دافعا قويا للحصول على الخبرات اللازمة للحياة، والإصغاء إليها بعناية مهما كانت طبيعتها، لأن في ذلك تنمية للمعرفة والإبداع لديهم، ومشاركة لهم في أفكارهم ومشاعرهم ومشكلاتهم. - أن تكون الإجابات على تساؤلاتهم، إجابات صادقة وصحيحة، ليس فيها لبس أو غموض، وتكون علمية ودقيقة، لا تحمل أفكار خاطئة وغير منطقية، وأن تكون مرتبطة بالسؤال مباشرة كما يطرحه الطفل دون تحريف أو تحوير. - أن تقدم الإجابات بشكل واضح وبسيط، وبعيد عن الغموض والتعقيد أو الماطلة، والاكتفاء بالمقدار اللازم لفهمه عن الأشياء التي يبحث عن الإجابة حولها، وعدم الدخول في تفاصيل وشروح معرفية معقدة، والبحث معه عن الإجابة في حال عدم معرفتها. - أن تتناسب الإجابات مع مستوى الطفل العقلي وقدرته على الفهم، وبعيدة عن الأفكار المجردة التي لا يستطيع التعامل



أهمية ذلك في إتاحة الفرص أمامه لرؤية الأشياء بشكل أوضح وأوسع، ونظرة أكثر عمقا وتطورا. بعد دور الوالدين يأتي دور المعلم في الإجابة عن تساؤلات الطفل، وتوصيل المعلومات له ضمن الأنشطة المدرسية، وإشباع رغبته في المعرفة بحسب تطوره العقلي. وغير خاف التأثير الكبير لنموذج (المعلم) الناجح في إتاحة الفرصة أمام الطفل للتعبير عما يجول بخاطره من الأسئلة، والتشجيع المدرس عليها.

إن مرحلة الطفولة هي مرحلة هامة وحاسمة في حياة الإنسان، حيث تتشكل خلالها شخصيته، وتؤتي ثمارها في المستقبل، وكما أن تربية الأبناء هي مسؤولية عظيمة، ورسالة سامية يسعى الآباء إلى تحقيقها على مستوى الفكر والسلوك، ولا شك أن الإجابة على الأسئلة المحرجة التي يطرحها الأطفال بطريقة تربوية سليمة، هي جزء كبير من هذه المسؤولية الإنسانية المثلى.

### المراجع

- 1- التربية العامة، تأليف: رونيه أوبير، الجزء الثاني، ١٩٦٧م. ترجمة: عبد الله عبد الدائم- دار العلم للملايين، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- 2- أساليب تعامل الوالدين مع أسئلة أطفالهم المحرجة، أ.م. د. كاظم جبر الجبوري/ م.م ارتقاء يحيى حافظ- مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان (٢-١) المجلد السابع، ٢٠٠٨م.
- 3- علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، تأليف: حامد عبد السلام زهران، الطبعة الخامسة- دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩م.
- 4- موسوعة التربية الأسرية للأطفال- مواقف ومشكلات وحلول، تأليف الدكتور: عيسى الشماس- وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٤م.
- 5- مساهمة الأمهات الفلسطينيات في إثراء ثقافة أطفالهن، (دراسة تحليلية لأسئلة الأطفال وقصصهم) د. جميل حسن الطهراوي- كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٥م.

معها، ومن جهة أخرى مع قاموسه اللغوي المتنامي، من خلال مفردات وتراكيب لغوية مألوفة إليه، يستطيع فهم إشاراتها ومدلولاتها. ويمكن أن تتضمن الأجوبة قصة، أو مثلا موضعا، أو ربطا بين حادثة وأخرى.

- أن تأتي وسط أجواء تسودها المحبة والمودة والاحترام، فيصبح أكثر إقبالا على طرح الأسئلة الدقيقة، واستخدام الأسلوب المنطقي في الحوار والمناقشة. يقول العالم الأمريكي تورانس: (إن الإنسان يفضل أن يتعلم بطريقة إبداعية، عن طريق الارتياح والممارسة الفعلية والتساؤل، ووضع الأفكار موضع التجربة واختبارها وتعديلها.)

- تحفيز الطفل وتشجيعه على الاستمرار في طرح الأسئلة والتفكير بها، والتساؤل من خلالها عن كل ما يجول في خاطره، عبر تنويع الخبرات أمامه، وإشعاره بأنه أهل للثقة، وإشراكه في البحث عن الإجابات المناسبة لتلك التساؤلات. والحقيقة أن تنمية التفكير لدى الطفل عن طريق التشجيع على الأسئلة أصبح مثار اهتمام التربويين، بالنظر إلى